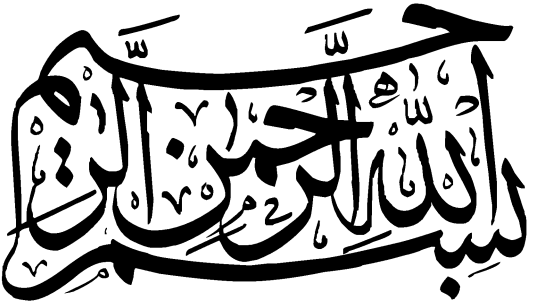
بسم الله الرحمن الرحيم

الرابح والمغبون

كلمة سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

الرابح والمغبون

كلمة سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

إعداد: مؤسسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الثقافية ـ الدينية / كربلاء المقدسة

تقرير وتعريب: علاء الكاظمي

الطبعة الأولى /

عدد المطبوع: ١٠٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة

على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين[1]

منّ الله تعالى علينا، مرّة أخرى، وعلى أعتاب شهري محرّم الحرام وصفر الأحزان، أن نستقبل العزاء على مولانا الإمام الحسين عليه السلام، وحقّاً، إنّ المظالم المفجعة التي لحقت ببيت النبوّة والإمامة في يوم عاشوراء لا نظير لها ولا شبيه في التاريخ.

أرفع التعازي للمقام المنيع والرفيع، للإمامة الكبرى والولاية الإلهية العظمى، لمولانا الإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف، بمناسبة حلول شهر أحزان ومصائب أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وهي المصائب التي عبّر عنها الأئمة المعصومين عليهم السلام في زيارة عاشوراء وفي باقي الزيارات، بأنّها المؤلمة. وأسأل الله عزّ وجلّ أن يعجّل بالظهور الشريف لمولانا الإمام المهدي عليه السلام، وأن يمنّ الإمام

---

١. كلمة سماحة المرجع الشيرازي دام ظله بالمبلّغين بمناسبة شهر محرّم الحرام ١٤٤٣ للهجرة.

بنفسه عجل الله فرجه الشريف علينا بدعائه للتعجيل بظهوره الشريف، حيث بظهوره النوراني وذي البركات، تزول المظالم الكثيرة التي لحقت بالمسلمين بالعالم، وأن ترتفع المشاكل والابتلاءات الكثيرة، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى المشاكل العائلة، وينقذ حياة المسلمين والناس بالعالم كلّهم.

كما أعزّي أتباع أهل البيت عليهم السلام جميعاً والمسلمين، في كل نقطة من العالم، بهذه المصيبة الكبرى، التي تعزّى بها أهل السماء والأرض، وكل ما سوى الله تعالى، وأحزنتهم.

عاقبة خذلان القضية الحسينية

ذكر في (كتاب الكامل في الزيارات) القيّم، الكثير من أدعية سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، على قاتلي الإمام الحسين عليه السلام ولعنهم، ولعن أعوانهم وأصحابهم، ومنها: (**اللهم اخذل من خذله**)[1].

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٢٣٦.

لمعرفة الجملة المذكورة، نشرح بشكل مختصر كلماتها: (**اخذل**)، و(**من**)، و(**خذلان**). فالخذلان هي نقيض النصرة وليست ضدّها. والفرق بين النقيض والضد، من المطالب التي يعرفها السادة أهل العلم وأهل الدراسة الحوزوية. فالنقيض وكما تشير إليها كتب اللغة، لها مفهوم سلبي. والنقيض عارية من الصفة، وفاقدة لها. وبخلاف الضدّ التي تشير إلى صفة أو مقولة بخلافها ومقابلها. ومراد النبي الكريم صلى الله عليه وآله في قوله (اخذل) هي نقيض النصرة لا ضدّها، أي ليس المقصود منها من يسيئ لابنه الإمام الحسين عليه السلام، بل صرفاً لمن يترك نصرة الإمام، بأن يكون الخذلان عاقبته. ويعبّر أهل المنطق عن ذلك بالنقيضين، وعن الأخرى بالضدّين. وكلمة (من) موصولة بالمعنى العام. أي إنّها لا تنحصر بزمان معيّن أو خاص، بل كل من يخذل، سواء كان بالماضي أو الحاضر. فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله على خاذلي الإمام الحسين عليه السلام ولعنهم، وهم كلّ من يترك إعانة الإمام الحسين عليه السلام، سواء في يوم عاشوراء وفي غيرها وبعدها من الأيّام، وأن يبتليهم بالخذلان المطلق، الذي يعني عدم

النظر الإلهي للخاذل. ففي المشاكل الاقتصادية، والابتلاءات السياسية، والاجتماعة، والنزاعات والخلافات العائلة، وفي غيرها من الضغوطات، وحتى في الابتلاء بالأمراض والفقر، وبالحوادث المؤلمة، والمئات والمئات من الأمور غير المرضية، يتوجّه العبد بطلب العون والإعانة من ربّه تعالى. وفي دعائه، يطلب رسول الله صلى الله عليه وآله من الله تعالى أن يمنع عونه وإعانته عن خاذلي الإمام الحسين عليه السلام بشكل مطلق، وأن لا يساعدهم فيما يبتلون به من مشاكل وصعوبات. وهل يوجد لعن أسوأ منه؟ فالذي يبتلى بالخذلان المطلق من الله تعالى، حتى لو رفع يديه بالدعاء آلاف وآلاف المرّات، وينادي ياربّاه، ياربّاه، فلا يستجاب منه الدعاء، ولا تنفتح أية عقدة من عقد مشاكله، لأنّ الدعاء النبوي قد قُيّد بالإطلاق، ولا مفرّ ولا خلاص من هذا الإطلاق.

الخذلان وعدم استجابة الدعاء

من الموارد المفصّلة التي أشار إليها المعصومين عليهم السلام هو عدم استجابة الدعاء، وجمعها علماء الشيعة الأعلام، ومنهم العلاّمة المجلسي رحمه الله، نقلاً عن السيّد ابن طاووس رحمه الله،

وهي قرابة ستة عشر مورد من الموارد التي تسبّب عـدم استجابة الدعاء، وذكرها المجلسي بحار الأنوار. علماً أنّ موارد استجابة الدعاء لا تنحصر في العدد الذي ذكرتـه. وخذلان الإمام الحسين عليه السلام، وكما وضّحته، من المـوارد المهمّة والرئيسية بعدم استجابة الدعاء، ولذا يمكن عدّه المورد السابع عشر في عدم استجابة الدعاء. ومـن المناسـب أن يقوم العلماء وأهل البحث والمطالعة، بالتحقيق في روايات المعصومين عليهم السلام، ليجدوا موارد أخرى من موارد عدم اسـتجابة الدعاء، ويضيفوها على الموارد الموجودة. فالموارد المذكورة من عدم استجابة الـدعاء، وجمعهـا، هـو نتيجـة مسـاعي العلماء الماضين، من كلام المعصـومين عليهم السلام، الـذين ذكـروا تلك الموارد في مناسبات مختلفة ومواقف عديدة.

دعاء النبي صلى الله عليه وآله ولعنه يشمل كل خاذل، وبناء على هـذا الإطـلاق، لا يستجب الله تعالى دعاء كل من دعا عليه رسـول الله صلى الله عليه وآله باللعن، في حلّ مشكلته، مع انّ الله تعالى قد وعـد باسـتجابة الدعاء، ومنها قوله عزّ من قائل: (**أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**)،

لأنّ المستجاب قبل كل شيء عند الله تعالى هو دعاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله، الذي طلب من الله تعالى أن يخذل من خذل ابنه الإمام الحسين عليه السلام. وهكذا لا يستجيب الله تعالى دعاء الخاذل للقضية الحسينية، مهما دعا ونادى ياربّي ويارباه، ومهما طلب العون من الله تعالى لحلّ مشاكله وخلاصه من الأزمات الدنيوية، ومهما ألحّ وأهلك نفسه في الدعاء. وهذا حال الخاذل في الدنيا، فكيف بأحواله في الآخرة؟ فلا شكّ ستكون أسوأ وأسوأ من أحواله في الدنيا.

علماء السلف وإحياء الشعائر

لخذلان الإمام الحسين عليه السلام وعدم نصرته، أشكال وصور متعددة ومختلفة، ومنها من بإمكانه أن يبني حسينية ولا يبنيها، ومن يمكنه إقامة مجلس العزاء ولا يقيم، ومن بإمكانه الإعانة المالية ويبخل بها، فكلها من مصاديق عدم نصرة الإمام الحسين عليه السلام ويحتسب من أتباع اولئك الذين تركوا نصرة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء. فهؤلاء كلّهم لم ينصروا الإمام، سوى غيرهم ممن قام بأفعال

أخرى، فحسابهم يختلف، وأحوالهم أسوأ وأسوأ بكثير وكثير من خاذلي الإمام الحسين عليه السلام.

لذكر أمثلة ملموسة من التاريخ، أدعو الجميع، إلى مراجعة ومطالعة، ثلاثة أقسام من الكتب المهمّة، لثلاثة من علماء الشعية المشهورين المعاصرين، وهي: أعيان الشيعة للسيّد محمّد أمين العاملي، وأعلام الشيعة للمرحوم الشيخ أغا بزرك الطهراني، والثالث خاتمة المستدرك، وهو المؤلّف القيّم للعالم الجليل المرحوم الحاج النوري. فمع توفر الآلات الإلكترونية الحديثة، يسهل على الجميع البحث عن هذه الكتب ومطالعتها، وغيرها من الكثير من المصادر التاريخية والحديثية، ويمكن بسهولة الحصول على الكتب والمصادر، وتتبعها والبحث فيها. وهنا أشير إلى مثال واحد.

ذكر التاريخ أنّ مدينة كربلاء أصيبت بوباء لعدّة مرّات، مع تفاصيلها وجزئياتها ومدّتها، وكم مات إثرها من سائر الناس ومن الشخصيات المشهورة أيضاً. فقد أصيبت كربلاء بالطاعون زمن صاحب الجواهر، ومات إثر الطاعون شريف

العلماء وزوجته وابنه الوحيد وبنته الوحيدة، وهكذا انقطع نسله. ومات إثره عالم آخر من العلماء المشهورين وهو القزويني، وغيره من العلماء والتجّار وغيرهم من باقي الأصناف. وبناء على ما كتبه صاحب الجواهر في كتابه، أنّ الطاعون أصاب كربلاء، قبل وفاته بعشرين سنة. وكذلك أشار في كتابه إلى تفشّي الطاعون بمدينة النجف الأشرف، وتوفي إثره الكثير من أهاليها.

من بركات العزاء الحسيني

لقد ذكرت سابقاً وأذكره مرّة أخرى بالمناسبة، انّه ذكر المرحوم الوالد: (أيّام شبابي في مدينة كربلاء المقدّسة، وقبل قرابة عقد أو أكثر من ثورة العشرين المجيدة بالعراق، وقبل الحرب العالمية الأولى، تفشّى الوباء في العديد من المدن العراقية ومنها كربلاء، وبغداد، والحلّة والكاظمية وسامراء وغيرها، ومات إثره الكثير من أهاليها، وحتى توفي الكثير من العلماء بسبب الوباء القاتل، خصوصاً من المعروفين

منهم. وكان بيتنا يتكوّن من أربعة ذكور وأربع إناث، والوالد والوالدة، أي عشرة أشخاص. وطال تفشّي الوباء في كربلاء، وأصاب حتى الذي كان يغسل الأموات بسبب انتقال العدوى إليه، وهكذا كان يصاب ويموت الكثير من الناس. وكتب صاحب الجواهر انّه في مدينة النجف الأشرف، كان حتى الذي يصلّي على الميّت يصاب بالوباء ويموت علماً بأنّه لم يك يحصل أي تماس بين المصلّي وجثّة الميّت. وهكذا ابتلي الكثير من الناس بالوباء ومات الكثير منهم، بل بعض البيوتات مات كل أفرادها. ووصل الأمر إلى حالة، انّ ذوي الميت كانوا يلفّون ميتهم في بطانية ويتركون جثّته عند مغتسل المخيّم)، الذي كان في السابق جنب نهر الحسينية وكان يبعد عن المخيّم قرابة مئتين متر، ولا أدري هل هو اليوم بالمكان نفسه أم لا. وأضاف والدي: (وعمّ الوباء واتسّع تفشيه، ووصلت الحالة إلى عدم وجود من يغسّل الميت ودفنه، فكانت الجثث تتكدّس ويمتلئ هواء المنطقة بالرائحة العفنة، فكانت حالة مفجعة).

أنا لا زالت أتذكّر بيت الوالد، حيث كان في زقاق مغلق، أي غير متصل بزقاق أو أزقة أخرى، وكان فيه قرابة عشرة بيوت، وأصيب سكّانها كلّهم بالوباء، حتى انّ إحدى البيوت مات كل أهلها البالغ عددهم عشرة أشخاص، وهكذا استمر الموت في باقي البيوت، إلاّ بيتاً واحداً وهو بيت الوالد. فلم يمت من بيت الوالد، لا طفل ولا كبير السن، ولله الحمد. وقد قال الوالد أنّه كنّا نقيم في بيتنا كل يوم مجلس العزاء، وكان عدد الحاضرين في المجلس لا يتجاوز أكثر الأحيان أربعة أشخاص، ولكن استمرّت مجالس العزاء في بيتنا، ولم نترك إقامتها حتى في كل أيّام السنة.

نصرة الشعائر وخذلانها

يحظى الإمام الحسين عليه السلام بمنزلة رفيعة عند الله تعالى، والدعاء الذي دعا به رسول الله صلى الله عليه وآله (**اللهم اخذل من خذله**) خارج من أعماق القلب ومستحبّ، والأهم من كل ذلك، معرفة قاطعية الدعاء وحتميته من خلال كلماته القليلة. وعليه فأي نوع من ترك نصرة القضية الحسينية لا يبقى

بلا جواب من الله تعالى. فمن يقدر على الإعانة في إقامة العزاء الحسيني، وإحياء القضية الحسينية بفكره أو بماله أو بقدراته أو بإمكانياته، ولم يقم بذلك، فسيصاب بالخذلان والحرمان الإلهي. ومن أبرز مصاديق نصرة القضية الحسينية، تأسيس وبناء الحسينيات والإعانة على إقامة العزاء الحسيني. فكم ازداد عدد الحسينيات للسنة الجارية على الحسينيات بالسنة الماضية؟ فالعدد الكبير للشيعة في العالم، بالأخص في أقصى نقاطه، من البديهي يتطلّب حسينيات وأماكن أكثر لأجل إقامة الشعائر الحسينية.

إنّنا نشهد الكثير من الشبهات التي كانت منذ القدم، ويستلزم تفنيدها والردّ عليها. فمن له القدرة العلمية الكافية يجب عليه أن يهتمّ بهذا الأمر، وإلاّ سيكون ممن ترك النصرة ويتعرّض للخذلان الإلهي المطلق. وقد كانت الشبهات من زمن الأئمة عليهم السلام وفي عصر الغيبة الصغرى بدؤوا يشكّكون باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام. وقام بالتحقيق بهذا الخصوص، الشهيد الأخ السيّد حسن قدس سره

قبل قرابة خمسين سنة، وذكر أسماء من أثاروا الشبهات تجاه القضية الحسينية المقدّسة، ومنهم أحد علماء أبناء العامّة من سوريا الذي أنكر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. فالكثير من الناس يجهلون الحقيقة، والكثير منهم لم يسمع حتى باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام. فمن ينشر الحقائق؟ ومن المسؤول في إعلام الناس؟ ومن الذي يردّ على الشبهات التي أثيرت وتثار، من الماضي وإلى اليوم، حول القضية الحسينية وغيرها من الأمور؟ فالكل مسؤول، كل حسب قدرته واستطاعته، والمقصّر، هو التارك لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، وسيلحقه الخذلان.

هكذا هي زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فمن يتعلّل بها بلا دليل، فيعني أنّه قد خذلها. فصاحب العذر معذور، ولكن من لا عذر له في عدم ذهابه للزيارة، هو من مصاديق الخاذل. وإعانة الزائرين والتعاون معهم، هو نصرة حسينية من باب أولى. فالموظّف بالعراق مثلاً، أو في غيرها من الدول، إن كان بإمكانه أن يعين الزائرين الحسينين

ويقضي أعمالهم، ولم يفعل، فهو من الخاذلين للقضية الحسينية، فضلاً عن الذين يخلقون الصعوبات والتعقيدات والعراقيل في أمر الزيارة الحسينية، كالذين يعتقلون الزائرين أو يعاقبوهم أو يغرّموهم، فستكون لكلّهم عقوبات شديدة.

لقد ذكرت وقلت كثيراً إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو استثناء عالم الوجود، وحتى تاريخه كلّه. فلم نجد في التاريخ، أنّ السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، قد بكت على أبيها أو على الإمام علي أو على الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام، كما بكت على الإمام الحسين عليه السلام. وهكذا هو العزاء الحسيني عند المعصومين عليهم السلام، يحظى بأهمية وبمكانة خاصّة، وهذا الأمر يحكي المنزلة الخاصة للإمام الحسين عليه السلام ولشعائره المقدّسة. فحتى الثواب والأجر المذكورين لزيارة الإمام الحسين عليه السلام هما أكثر وأكبر من زيارة باقي المراقد المقدّسة.

الشطارة في الدين

في تاريخ الإسلام، وبالأخص في التاريخ الشيعي، كان لطائفتين الدور البارز، أكثر من الآخرين، وهما العلماء، والشباب بسبب ما يتمتّعون به من قدرات وقوى أكثر،

ومسؤوليتهم أكبر من الآخرين. وكلنا من حيث الشهرة، على معرفة بالروايات، ومنها عن مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (**الكيّس من كان يومه خيراً من أمسه**)[١]. والكيّس هو الشاطر في أمور دينه وآخرته، وليس الذي يأكل اليوم ثريد اللحم، ويأكل غذاً الكباب مع الرز. فالمراد من الشطارة، الوعي واليقظة في أمور الدين. وحذاري من الغبن، الذي ذكره الإمام الصادق عليه السلام في حديثه الشريف التالي: (**من استوى يوماه فهو مغبون**). وقد جاء في أحاديث المعصومين عليهم السلام الكثير من تلك التعابير، ومنها (**والمغبون من كان يومه كأمسه**)[٢]. وبعض التعابير وصفت المغبون بالملعون أيضاً، وهو البعيد عن رحمة الله تعالى. فمن البديهي أنّ كل من يفتقد الإصلاح والنفع في أعماله وأحواله، ويكون أسوأ، يوماً بعد يوم، فهو بعيد عن الرحمة الإلهية. وعلى سبيل المثال: من حظي بزيارة الإمام الحسين عليه السلام في السنة الماضية،

---

١. تصنيف غررالحكم ودررالكلم؛ عبدالواحد بن مجد تميلي آمُدي؛ (مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧ هـ ٩، ص ٣٢٢).

٢. بحارالأنوار، ج ٦٨، ص ١٧٣.

ولم يذهب للزيارة في السنة الجارية بلا دليل، أو لم يرسل أحداً للزيارة، فهو متخلّف وغير نام. فسنته الماضية خير من سنته الجارية. وبناء على الروايات المذكورة، ليس بكيّس ويبتلى حتى باللعنة. فالمتوقع من هكذا شخص، أن يوفّق في هذه السنة أكثر من السنوات الماضية، للزيارة ويذهب للزيارة، ويهيئ أسباب الزيارة للآخرين قدر استطاعته، بأن يأخذ أحداً معه للزيارة، أو إن كان مستطيعاً من الناحية المالية، يؤجر طائرة أو سيّارة لتنقل الزائرين الحسينيين إلى زيارة كربلاء المقدّسة. وحتى لو استدان لأجل ذلك، فله الأجر والثواب الخاص عند الله تعالى. وهذه من طريقة ومسلك المؤمن الكيّس، الذي يسعى طول السنة ويومياً إلى أن يكون يومه أفضل من أمسه، ولا يقف عن المداومة والسعي إلى القيام بأعمال الخير وتحصيل الثواب والأجر.

تحمّل مشاكل الزيارة

ترافق الزيارة الحسينية اليوم لكثير من الناس، الصعوبات والتعقيدات الكثيرة، فضلاً عن الموانع القانونية والتقييدات الزمانية المختلفة التي تظهر في مختلف الأشكال، ومنها

الفقر المالي والمشاكل الاقتصادية، وهي من المسائل المهمة التي تمنع الكثير من محبّي الإمام الحسين عليه السلام عن الزيارة، ولا تزال تلك المشاكل موجودة. ومن المصاديق البارزة لنصرة القضية الحسينية المقدّسة، تسهيل أمر الزيارة، سواء بتوفير وسائط النقل المجانية، أو بحلّ مشاكل سمات الدخول ومستمسكات السفر، وهذه كلها لها الأجر والثواب الكبير من الله تبارك وتعالى. وكان هذا الأمر في الماضي، أصعب بكثير. فقد نقل المرحوم الأخ ـ المرجع الراحل قدس سره ـ عن جدّتنا، أنّها ذهبت إلى الحجّ، الذي كان يصعب كثيراً في ذلك الزمان. فقد كانوا يذهبون إلى الحجّ، بالسفر نصف الطريق براً عبر ركوب الجمال، والنصف الآخر من الطريق كان بالبحر وعبر الباخرة. فأهل النجف الأشرف كانوا يركبون الباخرة وسط الطريق لذهابهم إلى مكّة، ولم تك البواخر في ذلك الوقت كما هي اليوم، بل كان يرافقها مخاطر كثيرة، كخطر الطوفان وغرق الباخرة، وغيرها من المخاطر الأخرى الكبيرة. وذكرت الجدّة رحمها الله

أنّه كان يركب السفينة الكثير من الناس، وحتى أكثر من سعتها، ولذا كان من الصعب العثور على مكان للجلوس والاستراحة فيها، فقد كانت السفينة كلها تمتلئ بالمسافرين وأمتعتهم حتى طوابقها كلّها. ولهذا كانوا يجعلونها وغيرها من النساء في الخن، وهو من طوابق السفينة بأسفلها، وهي مستودع الأمتعة والبضائع، وكان يفتقر إلى التهوية المناسبة. فكانت هذه المرأة تبقى في الخن بوضعه المذكور لأيّام عديدة. وتقول: وبعد قرابة شهر كامل، كانوا يخرجوننا من الخن وينقلوننا إلى مكان أفضل في الطوابق العليا، وكان الكثير من المسافرين يصابون بالوباء ويموتون، وكانت جثثهم تلقى في البحر، وهكذا كان يتوفّر المكان بنقل الركاب من الخن إلى الطوابق الأخرى، ومنهم تلك المرأة. وهكذا كانت الزيارة محفوفة بالمشاق والأخطار.

كما نقلت تلك المرأة وقالت: لقد ذهبت إلى الحجّ في الأول من رجب من مدينة النجف الاشرف، ورجعت إلى بيتنا والنجف، بالضبط في الأول من رجب من السنة

التالية. وهكذا كان السفر والزيارة للزائرين يأخذ الكثير من أوقاتهم ويصعب عليهم، ومع ذلك كانوا يذهبون للحجّ، ولم تتوقّف أو تتعطّل هكذا أمور.

علماً، أن إلقاء الميت في البحر، له مبنى فقهي وروائي. فقد ذكرت الروايات تعبير (يثقل) لإلقاء الأموات في بعض الظروف الخاصّة، كعدم الاستطاعة في إيصال الجثة إلى البر وأمثالها. ويعني ربط الجثة بشيء ثقيل، وإلقائها في البحر، وكان الجثث تصير طعاماً لبعض الأسماك. فإن كان الميّت من الصالحين فمكانه الجنّة والرضوان، وإلاّ فمكانه النار، كما تبيّن الروايات الشريفة عن المعصومين عليهم السلام بأنّ: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران**»[1]. وهناك رواية في كتب الحديث، أيضاً، وأحتمل في كتاب الكامل في الزيارات، تقول: بأنّ أحد الأشخاص أراد زيارة الإمام الحسين عليه السلام وكان عليه أن يمرّ عبر البحر. فذهب إلى الإمام المعصوم عليه السلام وقال له: أريد زيارة قبر جدّك الحسين عليه السلام ولكنّني خائف؟ فقال له الإمام: مم تخاف؟

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٨، ص ٧.

قال: من البحر، وخوف غرق السفينة. فقال الإمام له: «**تكفأ في الجنة**» أي بمجرّد أن تنقلب السفينة، سيدخل ركّابها الجنة. ويالها من سعادة كبيرة! فهكذا شخص، سيستثنى من الحساب ومن نكير ومنكر، وسيدخل الجنّة مباشرة. أليست هذه الرواية من الخصائص الحسينية؟! فيجدر بأهل العلم أن يسعوا إلى جمع مثل هذه الروايات. فعدم المحاسبة بعد الموت لا تختصّ بالزائر الحسيني الذي يموت إثر انقلاب السفينة في البحر، بل إنّ حساب الخلق، وقبل يوم القيامة، هو مع الإمام الحسين عليه السلام.

تحمّل الإهانة لأجل الشعائر

بلى، إنّ من يقصّر في إعانة القضية الحسينية المقدّسة وهو يقدر عليها، فهو ممن ترك النصرة ونصيبه الخذلان الإلهي. وأرى من المناسب أن أذكر قصّة بالصدد المشار إليه، وهي:

قبل سنوات عديدة، كان بعض أصحاب الخير في إحدى المدن، وكنت أعرف بعضهم، كانوا يعانون من قلّة المال لأجل إقامة العزاء الحسيني، ولذلك كانوا يتنقلون بين المدن ويطلبون العون من التجّار والأكابر، وقد توفي الكثير

منهم رحمهم الله، وكان عملهم نصرة الإمام الحسين عليه السلام. والملفت في قصّتهم، أنّهم لم يتمكّنوا من جمع المبلغ المطلوب، فجاؤوا عندي وهم غير راضين، وتكلّموا معي، وبيّنوا عدم رضاهم، وشكوا حالهم قليلاً ما. وقال لي أكبرهم سنّاً رحمه الله: أنا شخصياً خاطبت الإمام الحسين عليه السلام وقلت له كل ما قمنا به إلى اليوم، كان من مسؤوليتنا تجاهكم، ولكن يكفي ما قمت به إلى اليوم. فسألته عن السبب؟ فقال: لقد أهانونا. فقلت: كيف؟ وأظنّ أنّهم اعتبروا عدم الحصول على المساعدة المطلوبة إهانة. فقلت له: هل طردكم أحد؟ فقال: هل يجب أن تصل إلى هكذا حالة؟ قلت: كلا، بل أسألك من باب الاستفهام. فقال: كلا، تعاملوا معنا بالاحترام. فقلت: هل بصقوا في وجوهكم؟ قال: هل يجب أن تصل الإهانة إلى هذا المستوى. قلت: كلا، ليس كذلك، بل أسأل. قال: كلا. فقلت له: إنّ أشرف الأولين والآخرين، وهو سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله الذي خاطبه الله تعالى بقوله: (**لولاك لما خلقت الأفلاك**) تحمّل الكثير والكثير من الإهانات

في تبليغ رسالته، وهي إهانات لم تتعرّضوا لها أنتم أصلاً! فهل من الصحيح أن تحملوا ما لقيتموه من تعامل على محمل الإهانة، وهكذا تخاطب الإمام الحسين عليه السلام؟!

لقد ذكرت كتب التاريخ، وبشكل مفصّل، تاريخ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومنها موسوعة بحار الأنوار. فالأجزاء من الخامس عشر وإلى الثاني والعشرين منها، اختصّت بتاريخ وأحوال النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وأوصي الجميع بمطالعتها بالأخص الشباب الأعزاء، حيث ستحصلون على الكثير من حقائق الدين، عبر مطالعتكم لها، ومنها أنّه صلى الله عليه وآله كم وكم تحمّل من المشاكل الكثيرة في تبليغه للرسالة. فالذي هو أشرف الأولين والآخرين، والمخاطب بـ(**لولاك لما خلقت الأفلاك**) بصقوا في وجهه الشريف، نستجير بالله، وآذوه وأهانوه كثيراً. فقد كان صلى الله عليه وآله يبلّغ رسالته، ويلاقي الطرد من مشركي مكّة، وغيرها وغيرها من القضايا التي تؤلم وتوجع قلب كل من يطالع تاريخ النبي صلى الله عليه وآله. ومع كل تلك الإهانات والأذى، التي تحمّلها النبي صلى الله عليه وآله في تبليغيه للدين، لم يشكو إلى الله تعالى حتى لمرّة واحدة،

ولم ينزعج، ولم يخاطب الله تعالى بأنّني قد لحقني الضرر، أو أهنت. ولذا علينا أن نقتدي به صلى الله عليه وآله، وأن لا نستعمل ألسننا بالشكوى والعتاب، لأنّ الله جلّ وعلا قد جعل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله قدوة لنا، كما في قوله عزّ من قائل: «**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**»[1].

إنّ التعرّض للإهانة والأذى في طريق الإمام الحسين عليه السلام له الأجر الخاص، وهذا ما ذكرته الكثير من الروايات الشريفة عن المعصومين عليهم السلام في الكتب القيّمة ككتاب الكامل في الزيارات، وبحار الأنوار وغيرها من الكتب. فتحمّل الآلام والصعوبات في طريق زيارة الإمام الحسين عليه السلام، لا شكّ هي من المظاهر الرئيسية لإحياء الشعائر الحسينية المقدّسة. وقد ذكرت الروايات الكم الكثير والكثير من الأجر والثواب، لمن يسجن من الزائرين، ولمن تصيبه المشاكل في طريق الزيارة. وحتى في يوم القيامة، يرى الزائرون الحسينيون، أعداءهم وهم في النار، فتسرّ قلوبهم ويفرحوا.

---

١. الاحزاب، ٢١.

تاريخ مؤلم

في إيران، بزمن البهلوي الأول، منعوا كثيراً العزاء الحسيني، واعتقلوا الكثير من أصحاب المنبر والروايد بعد أن أشبعوهم ضرباً، وكانوا لا يطلقون سراحهم إلاّ بعد تغريمهم. وكان الناس يقيمون العزاء في السراديب وبخارج المدن وأطرافها. ونقل أحد كبار السن ممن عاصر تلك الفترة، أنّه عندما كان يطلعون على إقامة المجالس، كانوا يغرمون الخطيب بمبلغ كبير وكذلك صاحب البيت الذي يقام العزاء فيه، وكذلك الحضور، وبعدها يدعوهم. وذكر الشخص المذكور انّهم كانوا يغرمون الخطيب والقارئ وصاحب البيت بمبلغ يعادل شراء خروفين. وهكذا كانوا يسجنون من يقيم العزاء الحسيني ويعذّبونه ويغرّمونه.

أين اليوم اولئك الحكّام الذي منعوا العزاء على الإمام الحسين عليه السلام؟ وما الذي حلّ بالمتوكّل وحكّام بني أمية وبني العباس، وبأي عذاب ابتلوا؟ ألا يستجيب الله تعالى دعاء نبيّه، أشرف الأولين والآخرين؟ لا شكّ انّهم نالوا عقاب أعمالهم وأفعالهم.

لنحذر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله على من يخذل الإمام الحسين عليه السلام ولننصر الحسين عليه السلام مهما استطعنا. فأحياناً، ترك نصرة الإمام تقع بأمور صغيرة، فليكن تعاملنا مع القضية الحسينية المقدّسة، تعاملاً إيجابياً، ولنلبّي أي طلب إعانة وأي رجاء تعاون. فمن يحتاج المال لإقامة العزاء، نساهم بإعانته إن كان باستطاعتنا مالياً، بل ونقترض لأجل إقامة العزاء الحسيني، حتى لا نكون ممن ترك النصرة الحسينية. وقد ذكرت العديد من كتب الحديث ومنها الكامل في الزيارات، مجموعة من أدعية رسول الله صلى الله عليه وآله ولعنه لخاذلي وظالمي الإمام الحسين عليه السلام، فلنأخذ تلك الأدعية بجديّة، حتى لا تسلب منّا السعادة، والعياذ بالله.

خداع الناس وتشكيكهم

القضية المهمّة أكثر، وخصوصاً في شهري محرم الحرام وصفر الأحزان، هي الشعائر الحسينية المقدّسة. فكل الشبهات وخداع الناس وإثارة الشبهات بالشهرين المذكورين، لا أساس لها. فقد قال أحدهم مؤخّراً أنّ مجالس العزاء الحسينية اليوم لم تك في زمن الأئمة عليهم السلام.

فهذا الشخص، لو كان حقّاً قد قرأ ودرس رسائل الشيخ الأنصاري أو الكتب الثلاثة التي ذكرتها في أول كلامي، لما تكلّم بهكذا كلام لا أساس له.

لقد كتب الكثير من العلماء في القرون الأخيرة حول القضية الحسينية، ومات الكثير منهم إثر ابتلائهم بالوباء والطاعون، في مدن النجف وكربلاء وسامراء، ولكن لم يقل أي أحد منهم، بترك الزيارة الحسينية بسبب تفشّي الوباء أو الطاعون. فأنا شخصياً طالعت كثيراً أحوال العلماء فلم أجد ذلك. فلا يوجد أي فقيه وعالم معروف ومشهور، ينهى عن الذهاب لزيارة كربلاء بسبب الوباء الذي أصاب الناس في تلك السنين، وخصوصاً في الظروف الصعبة والمتأزّمة وقلّة الإمكانات.

ذكر المرحوم الوالد، أنّ الكثير من أكابر علماء التشيّع وأفاضلهم كانوا في ذلك الزمان، مثل السيّد محمّد كاظم الخراساني، والسيّد محمّد كاظم اليزدي، والسيّد اسماعيل الصدر، والميرزا محمّد تقي الشيرازي، والشيخ محمّد طه نجف ﷺ، فلم ينهى أي أحد منهم الناس عن الذهاب لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مع تفشّي الوباء في مدينة كربلاء المقدّسة.

بل نجد العكس، وهو أنّ عدّة من العلماء أفتوا بعدم ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام حتى مع وجود خوف العدوى والابتلاء بالوباء، ومنهم السيّد بحر العلوم، والشيخ خضر الشلال، وكذلك العلاّمة الأميني في حاشية كتاب الكامل في الزيارات. والسبب هو الاستثناء الموجود للقضية الحسينية المقدّسة، وهذا لا تجده في الفريضة الواجبة وهو الحجّ، بل تجد عكسه، ولمعرفة ذلك يكفي مراجعة كتاب العروة. فوجود الخوف في سفر الحج يسقط الاستطاعة، وإذا ذهب الحاجّ بحالة الخوف، وكما تقول الكتب الفقهية، فعليه أن يعيد حجّه، في سنة أخرى. ولكن زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي استثناء، ولا يمنع عنها لا الخوف ولا القلق ولا المرض.

انتهاز الفرص والإمكانيات الحديثة

إنّ شهري محرّم وصفر موسم إحياء الشعائر، وفرصة لتبليغ الإسلام بمعناه الواقعي الذي عرّفه سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله للناس، في كل أبعاده، بدءاً من العقائد والأحكام والواجبات وإلى الأخلاق والقيم الإنسانية. ولو ألقينا نظرة على الأوضاع في عالم الإسلام اليوم، فسنقول بلا مبالغة أنّ معتقدات

وعقائد الكثير من الناس في الدول الإسلامية، تختلف اختلافاً واضحاً مع العقائد التي بيّنها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهكذا في باقي الأبعاد. فقد نال التحريف أحكام الإسلام كثيراً، وهكذا تجد البون الشاسع في مجال الأخلاق والقيم الإنسانية، بين نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وممارسات وأفعال المسلمين وسلوكياتهم. ولو أردنا معرفة المصدر الجيّد والكامل نسبياً للإسلام وأخلاقه وأحكامه وعقائده، فيمكن مراجعة موسوعة بحار الأنوار، فهو خير مصدر، ومصدر جامع. فمع توفّر الأجهزة الإلكترونية اليوم، والمنتشرة في كل مكان وبمتناول الجميع، يمكن ويسهل الحصول على تلك الموسوعة الكبيرة. فهذه الموسوعة تبدأ بموضوع العقل والجهل، إلى المجلّد الثالث والخمسين منها، وهي مجموعة مفصّلة من عقائد الإسلام نقلاً عن المعصومين عليهم السلام. وتوجد أحكام الإسلام بتفاصيلها وكلّها في كتابي وسائل الشيعة والمستدرك. فيوجد في الكتابين المذكورين، قرابة ستين ألف رواية حول الأحكام، ويمكن عبرها، تبيين كل أحكام الإسلام وشرحها. فتلك الكتب قد احتوت الكثير من روايات المعصومين عليهم السلام. ولو يتم مطالعتها وتبليغها،

فسنشهد النمو والتغيير الكبيرين في تصحيح وسلامة العقائد ومعرفة الأحكام والإصلاح في القضايا الأخلاقية لكل المجتمعات الإسلامية. فالمهم هو أن نتبع النبي الكريم والإمام علي والسيّدة فاطمة الزهراء والأئمة المعصومين عليهم السلام، في كل الأبعاد، ونميّز بين الصحيح والخطأ، في العقائد والأحكام والأخلاق. وإلاّ يقع مثل ما وقع وحصل خلال أربعة عشر قرن من بعد النبي صلى الله عليه وآله، في الدول الإسلامية، ونشهد تبعاته اليوم.

آلية الحلّ

ربّ سائل يسأل: لقد عرفنا المشاكل واتّضحت لنا، فما الحيلة والعمل اليوم؟ وهل توعية الناس وإطلاعهم على واقع الإسلام، وتحذيرهم من الإعوجاج والإنحراف، وتبليغ معارف الإسلام، مسؤولية فردية أم لفئة خاصّة أو لصنف خاصّ؟ ولا شكّ انّ المرتجى والمنتظر بشكل أولي، في مجال أداء المسؤولية، هو من العلماء وطلبة العلوم الدينية لإنشغالهم وعملهم بالمطالعة والبحث والدرس والتدريس، ولكن يلزم على الجميع أن يسعوا، كل حسب قدرته واستطاعته، أيضاً. فيمكن القيام بأعمال كثيرة،

والمجال اليوم لتبليغ الدين، أوسع وأكبر من الماضي. فالأرضية أو الوسيلة الجيّدة لتوعية الناس وتبليغ الإسلام الواقعي الحقيقي، هي الصحف والمجلّات والكتب وقنوات التلفاز والفضائيات، وغيرها من الكثير والكثير من الوسائل والإمكانيات. فيجدر بالشباب أن يهتمّوا بتبليغ الإسلام الحقيقي الصحيح وباستفادتهم من الوسائل الحديثة. فيمكن عبر تعاون مجموعة من المؤمنين ومساعيهم، نشر موسوعة بحار الأنوار عبر الفضائيات. علماً انّ بعض الناس يُشكل على موسوعة بحار الأنوار بأنّه يوجد فيها ما لا يصحّ نشره. وهذه الإشكالات كانت منذ القدم، حيث نقل المرحوم الوالد أنّ حكومة بني عثمان منعوا طباعة ونشر بحار الأنوار. وهذا الأمر كان لفترة محدودة. وقد طبّعت ونشرت هذه الموسوعة اليوم لعشرات المرّات، فيمكن عبر القنوات الفضائية نشر محتواها، بلا داع لأي قلق. فطرح هكذا إشكالات، هو مزيج من المغالطة. فاليوم تقوم القنوات الفضائية ببث كل شيء وكل موضوع، فبعضها، وباللغات العربية والإنجليزية والفارسية وغيرها، وتمارس الكذب بنسبها أحاديث للنبي الكريم صلى الله عليه وآله. فهل مثل تلك الممارسات لا إشكال فيها؟ فأنا شخصياً شهدت،

ونقلوا لي لمرّات عديدة أيضاً، كم من الأكاذيب وأنواعها التي ينسبونها لنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله في القنوات الفضائية.

مهمّة العلماء

بلى، إنّ عرض الإسلام الحقيقي ونشره وتبليغه، مسؤولية على الجميع، ولكن المسؤولية الأكبر هي على فئتين، كما في الحديث النبوي الشريف التالي: «**صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذا صَلَحَا صَلَحَتْ أُمَّتِي وَإِذا فَسَدَا فَسَدَتْ أُمَّتِي. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ الْفُقَهَاءُ وَالْأُمَرَاءُ**»[1]. وبيّن الإمام الصادق عليه السلام أهمية ومسؤولية العلماء أيضاً، بقوله: «**علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي ابليس وعفاريته**»[2]. ولنجعل الرواية المذكورة، جنب الروايات التي يسأل فيه الراوي الإمام المعصوم عليه السلام عن عدد الملائكة، فيجيبه الإمام بقوله: «بعدد التراب». فقبضة من التراب تحتوي على العدد الكبير من الرمل وحبّات التراب، فكيف بعدّها. وفي رواية أخرى يسأل عن عدد الشياطين. وقد ذكر العلاّمة المجلسي في البحار وكذلك غيره من العلماء، مثل تلك الروايات، فتذكر انّ الشياطين على ثلاثة

---

١. بحارالأنوار، ج ٧٤، ص ١٥٤.

٢. بحارالأنوار، ج ٢، ص ٥.

أقسام: الأول: أبوهم إبليس، وهو كبيرهم. الثاني: العفاريت، كما تذكر الآية الشريفة التالية: «**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ**»، والمراد من العفريت الشيطان المقتدر القوي. والقسم الثالث هو للشياطين الأقلّ مرتبة ودرجة، وهم بكثرة. وذكر النوري وغيره في كتبهم، أنّه قد وكّل على أبناء البشر عدد من الشياطين، فخمسة وعشرين شيطان على قلب الإنسان، واثنين على لسانه، وهكذا قس عليه من الشياطين، الذين يغوون الإنسان، كل بشكل من الأشكال. وتوجد في بحار الأنوار رواية بخصوص لحظة استهشاد مولانا الإمام الحسين عليه السلام تبيّن بأنّ إبليس طار فرحاً، وصاح بين السماء والأرض: «**قَدْ أَدْرَكْنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ الطَّلِبَةَ وَبَلَغْنَا فِي هَلَاكِهِمُ الْغَايَةَ وَأَوْرَثْنَاهُمُ النَّارَ إِلَّا مَنِ اعْتَصَمَ بِهَذِهِ الْعِصَابَةِ فَاجْعَلُوا شُغْلَكُمْ بِتَشْكِيكِ النَّاسِ فِيهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَإِغْرَائِهِم بِهِمْ وَ أَوْلِيَائِهِمْ حَتَّى تَسْتَحْكِمُوا ضَلَالَةَ الْخَلْقِ وَكُفْرَهُمْ وَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ نَاجٍ**»[1].

فقد كان التشكيك، وكما تصرّح به الرواية، هو عمل الشيطان، أبو العفاريت. وأول ما يستهدفه الشيطان هو إقامة العزاء الحسيني، كما نشهد اليوم، تمركز وارتكاز التشكيك

---

١. كامل الزيارات، الباب الثامن والثمانون (نجف، دارالمرتضوية)، ص ٢٦٦.

وإثارة الشبهات على العزاء الحسيني. فصون الدين، والتصدّي للتشكيك، من الضروريات الملحّة، ومسؤولية خطيرة. وكما ذكرت سابقاً، انّ هذه المسؤولية المهمّة والخطيرة، على عاتق من فيه الكفاية، ولا تنحصر بالعلماء وطلبة العلوم الدينية فقط. فطالما لا يوجد في المجتمع من فيه الكفاية، فهي مسؤولية عامّة وعلى عاتق جميع المسلمين. وهذه المسؤولية الدينية، كفريضة الحجّ واجبة ولا يشترط فيها الاستطاعة، ولا تسقط ممن لا استطاعة لديه، بل هو واجب معلّق، وبعبارة أخرى مطلق.

الفهم الصحيح لشعائر الإسلام

لقد استعمل القرآن الكريم عبارة (**يا أيّها الناس**) كثيراً، وهي لا تنحصر ولا تقتصر على النبي الكريم أو أهل بيته عليهم السلام، بل تشمل الجميع. وإذا أمر القرآن الكريم بأمر، أو أمر النبي وباقي المعصومين عليهم السلام بأمر، وصار الأمر المذكور موضعاً للحكم، ولم يبيّن معناه القرآن الكريم أو الأئمة المعصومين عليهم السلام، فيجب أن نأخذ معناه ومحلّه من العرف. ومن ذلك، مصطلح الشعائر التي بيّنها وبشكل إجمالي، القرآن الكريم، دون أن يشرحها أو يبيّن مصاديقها،

وهو قوله عزّ من قائل: «**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**»[١].

علماً أنّ الله تعالى قد ذكر في القرآن الكريم موردين من مصاديق الشعائر، منها قوله تعالى: «**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**»[٢]. وهذه من الشعائر الإلهية التي لا تنحصر بموردين فقط. فكل شيء في الدين، يعتبره العرف تجليلاً وتعظيماً، فهو من الشعائر الإلهية. والعزاء الحسيني له مكانة رفيعة في الإسلام، والروايات بالصدد المذكور كثيرة، وهو من الشعائر الإلهية المسلّم بها. فترى بعضهم ممن يدّعي العلم، يطرح الشبهات ويقول هل أنّ هذا النوع من العزاء الحسيني كان في زمن الأئمة عليهم السلام؟ وسؤاله سطحي وواه كثيراً، وصدوره عمن يدّعي العلم يبعث على العجب! فهل كان في زمن الأئمة عليهم السلام الطائرات والقطارات والهواتف والقنوات الفضائية وغيرها من مئات الأشياء الموجودة في عالمنا اليوم؟! فالأئمة عليهم السلام قد بيّنوا عمومات الدين، كما

---

١. الحج، ٣٢.

٢. الحج، ٣٦.

بيّن القرآن الكريم المسائل الكليّة والعامّة، وجعل قضية تطبيقها على المصاديق، علينا بناء على أمر الأئمة عليهم السلام.

هل انّ بناء الضريح المقدّس للإمام الحسين عليه السلام من الذهب أو الفضة، هو تجليل للإمام، أم نستجير بالله إهانة له؟! ووفقاً لرؤية أولئك السطحيين يمكن أن نسأل ونقول هل كان مرسوماً في زمن الأئمة عليهم السلام بناء الضريح على القبر؟ والمراد من لفظ الضريح المذكور في الروايات هو عموم القبور، وهو لفظ احترام للمزار والقبر. وبعدها في الأزمنة التالية، سمّي الشبّاك الحديد الذي يوضع على مزار الأكابر والمعصومين بالضريح. وهذا العمل هو ضمن إطار تجليل واحترام مقام صاحب القبر، ولذا هو من مصاديق الشعائر الإلهية. وهكذا إكساء الجدران بالسواد في أيّام شهري محرّم وصفر وأنواع العزاء الذي يقام بأشكال مختلفة وبآداب خاصّة في كل مكان، فكلّه من الشعائر الإلهية ومن الأمور الدينية المهمّة. فهل من اللائق بشخص يلبس لباس أهل العلم، ويسأل أسئلة لا نفع فيها سوى فتح باب الشبهة والتشكيك؟! فلا شكّ لو أنّ أمثال هكذا شخص،

يقرأ كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري أو اللمعة للشهيد الثاني، لما طرح وسأل أسئلة واهية. فأمثاله إما لم يقرؤوا تلك الكتب أو قرؤوها ولم يفهموها، لأنّ الدرك والفهم الصحيحين للكتب، يعين طالب العلوم الدينية خير إعانة على التفكير الصحيح في المسائل الدينية، ويعلّمه الطريق والطريقة الصحيحين للتفكير والتحليل الجيدين لمسائل الدين. فالقول بأنّ بعض القضايا، ومنها: هل كان أنواع العزاء في زمن الأئمة عليهم السلام أم لا، بعيد عن القرآن والعترة. وهكذا منطق يتّكل قبل كل شيء على الرأي الفردي لا رأي القرآن. فالنظرة والرؤية الإلهية في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، لا تجدها في هكذا آراء كالتي يثيرونها.

الدَين لأجل القضية الحسينية

أتمنى أن نرى في السنة القادمة، وفي هكذا زمن، أنّ الحسينيات في أطراف العالم قد ازدادت بالآلاف، وهذا ليس بالمستحيل ويمكن تحقّقه. فقد قرأت أنّه يوجد في تركيا مسجداً كبيراً وقد بناه أحد الفقراء! حيث ذكروا انّه قد روّض نفسه بتحمّل الصعوبات وجمع الأموال التي كان

عليه أن يصرفها لمأكله وملبسه، وصرفها لبناء المسجد، وهذه هي من الهمم الجديرة بالاستحسان، وهكذا تبرز وتظهر وتفعل القدرات البشرية.

يجدر الاقتراض والدَين لأجل القضية الحسينية وإقامة شعائرها. فنحن نقترض ونستدين لأجل عوائلنا ولقضاء حوائجنا الدنيوية، فما الإشكال بالاقتراض لأجل الأمور الأخروية؟ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقترض للأمور الخيرية. ونحن وبناء على قوله تعالى: «**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**»[1] علينا أن نقتدي به صلى الله عليه وآله ونجعل تعامله وعمله أسوة لنا. فنقرأ في موسوعة بحار الأنوار، أنّه صلى الله عليه وآله وبعد استشهاده، كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقضي ديونه. واستغرق هذا الأمر سبع سنوات، حيث كان الإمام عليه السلام يقف بين الناس في موسم الحجّ، وينادي من له على رسول الله صلى الله عليه وآله دَين؟ وكان صلى الله عليه وآله مديوناً بسبعمئة ألف درهم أو دينار. وإن كان المبلغ بالدينار فهذا يعني انّه كان يعادل سعر سبعمئة ألف خروف.

---

١. الأحزاب، ٢١.

بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وبعد دفنه، خطب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وقال: لقد رحل عن الدنيا اليوم رجل لم يترك حتى دينار واحد من الذهب ولا درهم واحد من الفضّة (**لم يترك صفراء ولا بيضاء**). وكان الأئمة عليهم السلام يقترضون لأجل مصلحة الإسلام والمسلمين أيضاً، فما الإشكال في أن نقترض نحن لأجل الشعائر الحسينية؟!

بالنتيجة: يجب أن نضاعف من مساعينا لأجل إحياء وإقامة الشعائر الحسينية، وأن نعمل في كل سنة، بأحسن من قبلها، سواء ببناء الحسينيات أو إقامة العزاء. فكل نوع من العمل بالصدد المذكور، إن كان فيه التجليل وإقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، فهو من الشعائر، وليس المهم أن يكون له أصل في التاريخ الماضي، أو أنّ المعصومين عليهم السلام قد عملوا به أو لم يعملوا. فهذه كلّها ليست من ملاكات تعيين الشعائر. وطريقة وشكل التجليل والإحياء هي عرفية في الأغلب.

ذكروا لي قبل أيّام، أنّ بعض الخدمة الحسينيين راجعوا أحد المسؤولين لقضية إدارية، فأشكل عليهم وقال لهم

لماذا تستعملون المصباح الأحمر في المسجد، ونحن نعيش أزمة كهرباء، ويجب علينا أن نقتصد. فيا للأسى ويا للعجب من هكذا أشخاص بأن يكونوا من شيعة الإمام الحسين عليه السلام وهكذا يفكّرون. فإن كان المسؤول المذكور شيعياً عسى أن يتوب إن شاء الله، فما صدر منه ليس خذلاناً للقضية الحسينية بل وضع العراقيل أمامها، وتستوجب العقاب الأليم. فالمصباح الأحمر علامة ودليل على العزاء، وتستعمله المواكب والهيئات منذ القدم. فكان الأجدر بالمسؤول المذكور أن يعطي للخدمة الحسينيين مئة مصباح عوضاً عن مصباح واحد.

المرابطون لأجل الإسلام

ذكرت الرواية الشريفة التي مرّ ذكرها بخصوص المسؤولية الخطيرة لأهل العلم، بأنّهم بمثابة المرابطين. وهذه الكلمة تعني الملتزم والساكن والمرابط. وهذا المصطلح كان يستعمل في الماضي، للذين يتواجدون في المكان الفاصل بين بلدين وفي أماكن ذهاب وإيّاب السكّان بين البلدين، أي ما يسمّى اليوم وفي زماننا

بالحدود. وكانوا يجعلون في تلك الأماكن الخيل السريعة، وكان عملهم دائماً كعمل ما يسمى اليوم بسرية استطلاع. وكان هذا العمل من الأمور المهمة في نظام الحكومة الإسلامية، وله الأجر الكبير، كما تقول الروايات الشريفة عن المعصومين عليهم السلام. وسبب استعمال كلمة (المرابطون) لعلماء الإسلام في الرواية التي مرّ ذكرها، لأنّهم يحمون عقائد المسلمين ومعتقداتهم المعنوية قبال هجمات الشيطان وأعوانه، ويدافعون عنها. وذلك الوصف يكشف بكل وضوح عن التهديد الكبير من قبل الشيطان. فقد ذكرت الأحاديث، أنّ الشيطان وأعوانه يبذلون كل قدراتهم لأجل التشكيك في عقائد الشيعة وأتباعهم. ولا شكّ انّ توعية الناس وتبيين المسائل الدينية لهم، في الواقع هو الوقوف والصمود أمام الشيطان وحماية للإسلام. وهذه المسؤولية المهمّة هي عاتق أهل العلم، لذا يجب عليهم الدقّة الكاملة في أدائها، وأن يبذلوا قصارى مساعيهم فيها. وبعدها يكون الدور المؤثّر للشباب أصحاب القدرات والنشاط الأكثر،

لأجل حماية الدين والشعائر والحفاظ عليهما والدفاع عنهما. ولذا يجب عدم الغفلة عن البعدين الديني والعقائدي عند القيام بالفعاليات، ويجب المساهمة في تنميتهما وتوسيع دائرتهما.

طوبى لأهل العراق

إنّ الأربعين الحسيني من الشعائر الحسينية المهمّة، ويحظى منذ القدم بدور ومكانة رفيعين في إقامة العزاء على مصاب الإمام الحسين عليه السلام. والسير على الأقدام (المشاية) في الأربعين الحسيني وزيارة المرقد الحسيني الطاهر، هو اليوم من أهمّ الشعائر الحسينية المقدّسة. وبهذا الصدد، نقول لأهل العراق طوبى لكم، فقد أحسنتم العمل وقمتم وعلى أكمل وجه باستضافتكم ولسنين عديدة للزائرين الحسينيين، وضحّيتم بكل ما تملكون من أموال وإمكانيات لأجل إقامة الأربعين بأفضل وأحسن ما يمكن.

بالخصوص المذكور، يوجد الكثير من القصص ومنذ القدم وتتداولها الألسن، فمنهم من باع بيته لأجل مراسيم الأربعين واستضافة الزائرين الحسينيين، بعضهم

وهم فقراء وفي ضائقة مالية، يجمعون الأموال طول السنة لكي يتمكّنوا من المشاركة في مراسيم الأربعين الكبيرة، ولكي يشاركوا قدر استطاعتهم في استقبال الزائرين واستضافتهم، وغيرها من الشواهد والقصص الكثيرة. فمع تلك الشواهد والقصص، هل يليق بالفقهاء الذين يخالون أنّهم درسوا الفقه، ولكن للأسف، يتكلّمون بكلام يبيّن بكل وضوح عدم معرفتهم لمباني الدين وحقائقه، ويثيرون الشبهات ويخلقون الشكّ والتشكيك في قلوب الموالين والمحبّين للإمام الحسين عليه السلام؟!

عبر آلاف السنين، ذهب الكثير من شيعة الإمام الحسين عليه السلام ومحبّيه إلى زيارة الإمام في زمن الجبابرة حكّام بني العباس وغيرهم، رغم انّها كانت ممنوعة، وكان يحفّ بالزائرين الكثير من المخاطر كالسجن والتعذيب وحتى القتل. ومع ذلك كلّه لم تتوقف ولم تتعطّل الزيارة الحسينية أبداً. حتى الوباء والطاعون الذي أصاب المدن المقدّسة كثيراً ولمرّات عديدة، كالنجف وكربلاء، لم يمنع علماء الشيعة بإصدار

فتاوى تحرم الذهاب للزيارة أصلاً، أو تنهى الناس عن الزيارة. فهذا كلّه شاهد ودليل على المكانة والأهمية الكبيرة للعزاء الحسيني، وبأنّ القضية الحسينية استثناء، ولا تقاس بأي شيء ولا بأي أمر. وعليه، فإذا طرح أحد من أهل العلم مطلباً لا أساس له، أو أثار شبهة واستفهام واه، ولا سمح الله، أدّى إلى ضلالة عدّة من الناس، فيجدر به أن يتوب قبل موته.

كما على الجميع، كل حسب قدرته واستطاعته، أن يشمّروا عن سواعدهم لإقامة وإحياء الشعائر الحسينية المقدّسة، سواء كان صاحب مسؤولية أو كان من سائر أفراد المجتمع، وأن يهتمّ بالشعائر ويسعى في كل سنة إلى إقامة مراسيم الشعائر بأفضل وأحسن من السنين الماضية، حتى لا يكون مثل الذي ذكرته الروايات الشريفة (مغبون) بل يكون من زمرة المؤمنين الكيّسيين الرابحين.

وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين

الفهرس

عاقبة خذلان القضية الحسينية..... ٦

الخذلان وعدم استجابة الدعاء..... ٨

علماء السلف وإحياء الشعائر..... ١٠

من بركات العزاء الحسيني..... ١٢

نصرة الشعائر وخذلانها..... ١٤

الشطارة في الدين..... ١٧

تحمّل مشاكل الزيارة..... ١٩

تحمّل الإهانة لأجل الشعائر..... ٢٣

تاريخ مؤلم..... ٢٧

خداع الناس وتشكيكهم..... ٢٨

انتهاز الفرص والإمكانيات الحديثة..... ٣٠

آلية الحلّ..... ٣٢

٤٨..... الرابح والمغبون

مهمّة العلماء ٣٤

الفهم الصحيح لشعائر الإسلام ٣٦

الدَين لأجل القضية الحسينية.....٣٩

المرابطون لأجل الإسلام ٤٢

طوبى لأهل العراق.....٤٤